ولم يتعرَّضوا لبقية الروايات صحيحة السند التي تخالف ذلك وتبين الحقيقة، وبذلك نجزم بأن عمر لم يضرب أبا هريرة كما زعم هؤلاء، وأنَّى لعمر أن يضرب صحابيًّا مثل أبي هريرة رضي الله عنهما.

الخلاصة:

- لقد كانت سياسة عمر ﷺ أن لا يُبقي ولاته في حكم الولايات مُددًا طويلة، بل كان يعزلهم وخاصة إذا كانوا من الصحابة الكرماء الأطهار؛ حتى لا تُدنِّس السياسة قلوبهم، فإن طول العمل فيها يُقسِّي القلب، وحتى لا تشغلهم تجاراتهم وأموالهم، ولأنه كان لا بد أن يُبقي معه نفر غير قليل منهم، يستشيرهم في أمور المسلمين، ويفوِّضهم في افتاء الناس، فإنه لا يستطيع أن يستغني عنهم جملة ولا أن تكون بطانته من غيرهم، ولو أنه كان يعزلهم تخونًا لهم لما أبقاهم في بطانته، بل لعاقبهم وحاسبهم حسابًا عسيرًا.
- لم يكن أبو هريرة ﷺ أول والٍ يعزله عمرُ ويشاطره ماله؛ فقد عزل عمر من عماله أفضلهم وشاطرهم مالهم مثل سعد بن أبي وقاص ﷺ أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأُبي بن كعب، وأبي موسى الأشعري ﷺ.
- لو كان عمر بن الخطاب يشك في أمانة أبي هريرة لما طلب منه توليته مرة أخرى بعد عزله، ولأخذ منه ماله كله ولم يُبْقِ له شيئًا، ولأوقع عليه عقوبة الإخلال بأمانة الوظيفة، ولكن أبا هريرة قد حصل على ماله من تجارته وكسبه الحلال، وقد ثبت ذلك عند عمر والصحابة وتحققوا منه.
- لقد كان عمر بن الخطاب ﷺ يحتاط ويتخوَّف على أصحابه من أن يكون الناس صانعوهم، فكان يأخذ من مالهم ويضع في بيت المال؛ لتبرأ ذمتهم، ثم يعطيهم بعد ذلك مالًا بقدر استحقاقهم له، فيكون حِلًّا لهم بلا شبهة.
- الرواية التي استند إليها هؤلاء في دعواهم أن عمر بن الخطاب ضرب أبا هريرة جاءت عارية السند، ولو ذكروا سندها لاستطعنا من خلاله الحكم على مدى صحتها. ولعدم وجود سند لها، فهي مردودة لا يُحتج بها؛ طالما أن هناك من الصحيح ما ينفيها.
- إن الرواية الصحيحة التي وردت في مصادر كثيرة معتمدة بأسانيد صحيحة؛ مثل: عيون الأخبار، وحلية الأولياء، وتاريخ الإسلام، والإصابة في معرفة الصحابة، وطبقات ابن سعد، وفتوح البلدان وغيرها ـ لم يرد بها ضرب عمر أبا هريرة، وهذا فيه كفاية للدلالة على بطلان الرواية الأولى التي ذُكر فيها ضرب عمر أبا هريرة رضي الله عنهما.

الشبهة السادسة

دعوى خروج أبي هريرة ﷺ عن حدود اللياقة مع بعض أمهات المؤمنين(*)

مضمون الشبهة:

يدَّعي بعض المغرضين أن أبا هريرة كان لا يُراعي حدود الأدب مع بعض أمهات المؤمنين؛ في سبيل إثبات صحة مروياته التي لم نسمع بها، ويمثِّلون لذلك بموقف السيدة عائشة رضي الله عنها حين أنكرت

(*) الرد على الطاعن في أبي هريرة، الحسن بن علي الكتاني، مرجع سابق.

حديثًا سمعته منه، وقالت له: "إنك لتُحدِّث عن النبي ﷺ حديثًا ما سمعته منه، فقال أبو هريرة: يا أُمَّه طلبتُها، وشغلك عنها المرآة والمكحلة، وما كان يشغلني عنها شيء". رامين من وراء ذلك إلى الطعن في عدالته ﷺ؛ إيذانًا للطعن في عدالة الصحابة جملة.

وجوه إبطال الشبهة:

١) لقد كان لأهل بيت رسول الله ﷺ أجمعين عند أبي هريرة منزلة عظيمة، فمن المحال عقلًا أن يُقَدِّر أبو هريرة آل البيت ثم يخرج عن حدود اللياقة مع السيدة عائشة رضي الله عنها، وكيف ذلك وهو يناديها بأطيب لفظ وأحبه إليها: "يا أُمَّه" وهو قمة التوقير والتقدير الذي يليق بمثله ومثلها؟! وهل كان يتركه الصحابة دون أن ينكروا عليه ويردوه لو فعل ذلك؟!

٢) لقد كان المقصود من قول أبي هريرة التسويغ لا الانتقاص؛ إذ إنه كان يُدافع عن نفسه عندما استكثرت ما يُحَدِّث به، فبين لها أنه كان يطلب الحديث وأنها شُغِلت بشئونها عنه، وهو شأن كل امرأة في بيت زوجها، وليس عيبًا أن تشغل المرأةَ المرآةُ والمكحلة ما دامت تتزين لزوجها، بل هو حقٌّ عليها لزوجها، وإن لم تكن السيدة عائشة ـ وهي أم المومنين والقدوة للمؤمنات ـ مؤديةً لحقوق زوجها، فمن تكون؟!

٣) لقد كان أبو هريرة يُحَدِّث فتوافقه السيدة عائشة تارة، وتستدرك عليه تارة أخرى، وكان هذا دأبها مع غيره من الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن عمر وغيرهم، ولم يشعر أحد من الصحابة بها فيهم أبو هريرة بأدنى غضاضة أمام سُمُو الهدف المتمثل في الحفاظ على روايته حديث رسول الله ﷺ وتبليغه.

التفصيل:

أولا. قدْر آل بيت رسول الله ﷺ ومكانتهم عند أبي هريرة ﷺ:

لقد كان أبو هريرة وجميع الصحابة ﷺ يُقدِّرون آل بيت رسول الله ﷺ حق قدرهم، لا سيما أمهات المؤمنين، وما كان يسع أبا هريرة أو غيره من الصحابة إلا توقيرهن وإعطاؤهن حقهن من المنزلة والمكانة إيمانًا بفضلهن وقدرهن، وكان أبو هريرة ﷺ أكثر الصحابة ملازمة لرسول الله ﷺ، ولذلك كان على جانب كبير من العرفان لأزواجه بالرفعة والمنزلة.

هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن أبا هريرة ﷺ كان على علم تامٍّ بفضل السيدة عائشة وسابقتها في الدين، ومكانتها في قلب النبي ﷺ، وهي التي حظيت بحبِّه ﷺ فكانت أحبَّ زوجاته إليه، فقد قال عمرو بن العاص لرسول الله ﷺ: "أيُّ الناس أحبُّ إليك؟ قال: عائشة، فقال: من الرجال؟ قال: أبوها..."[1].

وقد أثارت تلك المنزلة التي احتلتها عائشة رضي الله عنها من النبي ﷺ غَيْرةَ زوجاته، فأرسلن ابنته فاطمة رضي الله عنها يطالبنه بأن تكون لهن مكانة عائشة، فقال لفاطمة: "يا بُنيَّة ألا تُحبين ما أحب؟ قالت: بلى، فرجعت إليهن فأخبرتهن..."[2].

وقال ﷺ لأم سلمة: "لا تؤذِيني في عائشة، فإن

---

١. صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: قول النبي ﷺ: "لو كنت متخذًا خليلا"، (٧/ ٢٢)، رقم (٣٦٦٢).

٢. صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، كتاب: الهبة، باب: مَنْ أهدى إلى صاحبه وتحرَّى بعض نسائه دون بعض، (٥/ ٢٤٣)، رقم (٢٥٨١).

الوحي لم يأتني وأنا في ثوب امرأة إلا عائشة"[1].

ومن شدة حب النبي ﷺ لها اختياره أن يمرض في بيتها، ووفاته بين نحرها، ودفنه في بيتها. وقد عرف الصحابة ﷺ ذلك بعدما صار حبه إياها علمًا عليها فسميت "حبيبة حبيب الله"، و "خليلة رسول الله"، و "حبيبة رسول الله"[2].

وقد وقَّرها الصحابة جميعًا، يبتغون بذلك مرضاته ﷺ، وأبو هريرة ﷺ من جملة هؤلاء الصحابة في تقديره لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قدرها وإنزالها منزلتها، ويكفي دلالة على ذلك أنه هو الذي صلَّى عليها بعدما توفيت رضي الله عنها، وكيف يخرج عن حدود اللياقة والأدب معها وهو يناديها بأحب الألقاب إليها وأطيبها إلى نفسها: "يا أمَّه" تلك المنزلة التي حباها الله ورسوله إياها، وهي أثمن عندها من أي شيء آخر؛ لذلك رفضت المتاع والأهل في سبيلها عندما خيَّرهن الله تعالى؟ وهل كان أبو هريرة ﷺ مع كثرة مروياته وسعة علمه يجهل معنى هذه اللفظة "يا أمَّه" وهو يناديها بها حتى ينطق بعدها بما يعتبر خروجًا عن حدود اللياقة والأدب معها؟! فلماذا إذن قدم كلامه بهذا الاستهلال الطيب الذي يدل على عظيم توقيره لها وإجلاله لمكانتها؟! ولماذا لم ينكر عليه واحد من الصحابة ذلك؟! إنه لو فعل ما يعتبر خروجًا عن اللياقة معها ما وسع أحد من الصحابة تركه دون إنكار أو رد عليه، ولكن لَمَّا لم ينكر عليه أحد، بل شهدوا له بالفضل والصلاح والعلم والفقه، ولم يذكروا له منقصة أو مذمة ـ كان ذلك دالًا على سلامة موقفه وبراءته مما يريد أن يلصقه به الطاعنون من معايب.

ومما يدل على توقيره ﷺ لأم المؤمنين عائشة، وتقديره لعلمها ما رواه الإمام أحمد عن أبي بكر بن عبد الرحمن عن أبيه أنه قال: "دخلت على عائشة، فقالت: كان رسول الله ﷺ يُصبح جنبًا ثم يغتسل، ثم يغدو إلى المسجد ورأسه يقطر، ثم يصوم ذلك اليوم، فأخبرت مروان بن الحكم بقولها، فقال لي: أخْبِر أبا هريرة بقول عائشة، فقلت: إنه لي صديق فأحب أن تعفيني، فقال: عزمت عليك لما انطلقت إليه، فانطلقت أنا وهو إلى أبي هريرة، فأخبرته بقولها، فقال: عائشة إذن أعلم برسول الله ﷺ"[3].

أليس في قوله: "عائشة إذن أعلم برسول الله" دليلٌ على اعترافه بعلمها وفضلها؟! أليس فيه ردٌّ كافٍ على مَنْ يزعم أنه كان يُنقص من قدرها ويخرج عن حدود اللياقة والأدب معها؟!

ثانيًا. المقصود من قول أبي هريرة ﷺ التسويغ وليس الانتقاص:

من المسلم به، ومما هو معلوم: أن الصحابة الأخيار لم يكن يُكذِّب بعضهم بعضًا، إلا ما اختلقه الأفَّاكون من أهل الأهواء الذين استغلوا ما دار بين الصحابة من نقاش علمي، أو تثبُّت في الحديث، وجعلوا منه مادة ينفُذون من خلالها لمآربهم، وما من حادثة لأبي هريرة

---

١. صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، كتاب: الهبة، باب: مَنْ أهدى إلى صاحبه وتحرَّى بعض نسائه دون بعض، (٥/ ٢٤٣)، رقم (٢٥٨١).

٢. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، مرجع سابق، (٢/ ١٩٧).

٣. صحيح: أخرجه أحمد في مسنده، باقي مسند الأنصار، مسند عائشة رضي الله عنها، رقم (٢٤٧٥٢). وقال شعيب الأرنؤوط في تعليقه على المسند: حديث صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح.

مع أُمّنا عائشة رضي الله عنها إلا بيَّن العلماء وجه الحق فيها، ولم يروا في كلام عائشة رضي الله عنها موقف المكذِّب لأبي هريرة، ولم يفهم أحد مما دار بينهما أن أبا هريرة كذابٌ يتهمه الصحابة في صدقه وعلمه، إلا ما كان من اختلاق أعداء السنة، أهل البدع والأهواء[1].

إن القصة ـ التي يشير إليها المغرضون ـ رواها ابن سعد عن عمرو بن يحيى بن سعيد الأموي عن جده، قال: "قالت عائشة لأبي هريرة: إنك لتحدِّث عن النبي ﷺ حديثًا ما سمعته منه، فقال أبو هريرة: يا أمَّه طلبتها وشغلك عنها المرآة والمكحلة، وما كان يشغلني عنها شيء"[2].

وروى الذهبي القصة من طريق إسحاق بن سعيد عن أبيه، قال: "دخل أبو هريرة على عائشة، فقالت له: أكثرت يا أبا هريرة عن رسول الله! قال: إي والله يا أمَّاه، ما كانت تشغلني عنه المرآة، ولا المكحلة، ولا الدهن، قالت: لعله". وقال الذهبي: ورواه بشر بن الوليد عن إسحاق، وفيه: "ولكني أرى ذلك شغَلَكِ عما استكثرت من حديثي. قالت: لعلَّه"[3].

وفي رواية الحاكم "أن عائشة رضي الله عنها دعت أبا هريرة ﷺ، فقالت له: يا أبا هريرة، ما هذه الأحاديث التي تبلغنا أنك تُحدِّث بها عن النبي ﷺ، وهل سمعت إلا ما سمعنا؟ وهل رأيت إلا ما رأينا؟! قال: ياأماه، إيه كان يشغلك عن رسول الله ﷺ المرآة والمكحلة والتصنع لرسول الله ﷺ، وإني والله ما كان يشغلني عنه شيء"[4].

وفي ضوء السياق ـ السالف ذكره ـ نتساءل: هل خرج أبو هريرة عن حدود الأدب مع السيدة عائشة رضي الله عنها؟! لا والله، بل إنه فقط يدافع عن نفسه عندما استكثرت ما يُحدِّث به، فبين لها أنه كان يطلب الحديث، وأنها شُغلت عما استكثرته من أبي هريرة بحياتها المنزلية، وهو شأن كل امرأة في بيت الزوجية، عليها مسئوليات كثيرة لا تتيح لها أن تسير مع زوجها في كل مكان، أو ترافقه في جميع حالاته، ثم إن في جواب السيدة عائشة على أبي هريرة بقولها: "لعلَّه" ما يدل على أنها وافقت أبا هريرة على تبريره، ولم تعترض عليه أو تستنكر ما اعتبروه خروجًا عن حدود اللياقة معها.

غير أن المغرضين "شنَّعوا على أبي هريرة ورأوا تسويغه خروجًا على الأدب والوقار، مُزيدين في الرواية نفسها عبارة: "على أنه لم يلبث أن عاد وشهد بأنها أعلم منه" فهذا غير صحيح في هذه الواقعة ولا يقوله إلا مُغَرِّر؛ لأنه لا يوجد أي تعارض بين الروايتين، فهذه القصة تتناول حفظ أبي هريرة وكثرة حديثه، ولم يتراجع أبو هريرة عما رواه، بل سمعت منه عائشة دفاعه عن نفسه، واقتنعت بما قال"[5].

وهناك ما يثبت أن السيدة عائشة أم المؤمنين رضي

---

١. الرد على الطاعن في أبي هريرة، الحسن الكتاني، مرجع سابق، ص٢٧ بتصرف.

٢. الطبقات الكبير، ابن سعد، مرجع سابق، (٢/ ٣١٤).

٣. سير أعلام النبلاء، الذهبي، مرجع سابق، (٢/ ٦٠٤، ٦٠٥).

٤. صحيح: أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب: معرفة الصحابة ﷺ، باب: ذكر أبي هريرة الدوسي، (٣/ ٥٨٢)، رقم (٦١٦٠). وصححه ووافقه الذهبي في التلخيص.

٥. أبو هريرة راوية الإسلام، د. محمد عجاج الخطيب، مرجع سابق، ص٢٢٧ بتصرف.

الله عنها لم تنكر على أبي هريرة ﷺ كثرة ما يروي بل صدقته، فقد روى الرامهرمزي بسنده عن أبي سلمة، قال: "قيل لعائشة إن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله ﷺ، فقالت: أدنوه مني، فأدنوه، فقالت: أذكرتني شيئًا سمعته من رسول الله ﷺ... وذكر الحديث"[1].

ونخلص من هذا، أن أبا هريرة لم يكن ليقلل من شأن السيدة عائشة رضي الله عنها وحاشاه أن يقصد ذلك، ولا فُهِمَ هذا من كلامه؛ إذ ليس في السياق خروج عن اللياقة، بل كان يبرر كثرة تحديثه بالحديث عن رسول الله ﷺ مما لم تسمعه عائشة رضي الله عنها، وقد وافقته عائشة رضي الله عنها واقتنعت بكلامه، ولم تنكر عليه كثرة حديثه ولا أسلوبه في الحوار معها، ولا ادَّعت أنه خرج عن حدود اللياقة معها، إنما ذلك شأن المفترين على عائشة وأبي هريرة وأصحاب محمد ﷺ ®.

ثالثًا. التثبُّت من صحة حديث رسول الله ﷺ كان هدف الصحابة جميعًا:

إن هدف الصحابة جميعًا كان التثبت من حديث رسول الله ﷺ، وأمام هذا الهدف السامي لم يكن أحدهم يجد في نفسه شيئًا حين تُراجعه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أو غيرها من أمهات المؤمنين أو الصحابة.

ولقد راجعت أبا بكر وعمر وعثمان وعلي وابن عمر وغيرهم، فما شعر أحدهم بحرج ولا غضاضة.

على أن أبا هريرة كان واحدًا من هذا الجيل الفريد، فيحدِّث بالحديث؛ فتوافقه السيدة عائشة تارة، وتستدرك عليه تارة أخرى، كما كان يَحْدُث مع غيره من الصحابة، فقد استدركت على أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن عمر وغيرهم، وكل ذلك كان من باب التفاهم والسؤال عن الحديث، وقد استدرك غيرها عليها، كما أنها كانت تُوجِّه من يسألها أحيانًا إلى مَنْ هو أعرف منها في تلك المسألة، وقد ثبت أنها وجَّهت مَنْ سألها عن مسح الخُفِّ إلى عليٍّ بن أبي طالب ﷺ، قال شريح بن هانئ: "سألت عائشة عن المسح على الخفين، فقالت: ائت عليًّا؛ فهو أعلم بذلك منِّي، فأتيت عليًّا فسألته..."[2].

وإتمامًا للفائدة ـ وتأكيدًا لما أسلفنا ذكره من أن الصحابة لم يكن يمنعهم مانع من التثبت في الرواية على حساب ذواتهم ـ يحسن أن نذكر نصًّا تراجع فيه أبو هريرة ـ المُفتَرى عليه بأنه خرج عن اللياقة دفاعًا عن مروياته ـ وهذا النص هو حديث "من أصبح جنبًا فلا صيام له"[3].

وإليكم الحديث كما رواه الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه قال: "حدثني محمد بن رافع ـ واللفظ له ـ حدثنا عبد الرزاق بن همام، أخبرنا ابن جريج، أخبرني عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرحمن عن أبي بكر، قال: سمعت أبا هريرة ﷺ يقصُّ، يقول في قصصه: من أدركه الفجر جنبًا فلا يَصُمْ، فذكرت ذلك لعبد

---

١. المحدث الفاصل، الرامهرمزي، مرجع سابق، ص٥٥.

® في **"أسباب كثرة مرويات أبي هريرة"** طالع: الوجه الثاني، من الشبهة الثالثة عشرة، من هذا الجزء. وفي **"إكثار أبي هريرة من رواية الحديث عن رسول الله وتفرده ببعض الروايات لا يطعن فيه"** طالع: الوجه الأول، من الشبهة الحادية عشرة، والوجه الثاني، من الشبهة التاسعة عشرة، من هذا الجزء.

٢. صحيح مسلم (بشرح النووي)، كتاب: الطهارة، باب: التوقيت في المسح على الخفين، (٢/ ٨٠٩)، رقم (٦٢٩).

٣. صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، كتاب: الصوم، باب: الصائم يصبح جنبًا، (٤/ ١٧٠)، رقم (١٩٢٥).

الرحمن بن الحارث، فذكره لأبيه فأنكر ذلك، فانطلق عبد الرحمن وانطلقت معه حتى دخلنا على عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما، فسألهما عبد الرحمن عن ذلك، قال: فكلتاهما قالت: كان النبي ﷺ يُصبح جُنبًا من غير حُلُم ثم يصوم، قال: فانطلقنا حتى دخلنا على مروان، فذكر ذلك له عبد الرحمن، فقال مروان: عزمت عليك إلا ما ذهبت إلى أبي هريرة فرددت عليه ما يقول، قال: فجئنا أبا هريرة، وأبو بكر حاضر ذلك كله. قال: فذكر له عبد الرحمن، فقال أبو هريرة: أهما قالتاه لك؟ قال: نعم، قال: هما أعلم، ثم ردَّ أبو هريرة ما كان يقول في ذلك إلى الفضل بن العباس، فقال أبو هريرة: سمعت ذلك من الفضل ولم أسمعه من النبي ﷺ، قال فرجع أبو هريرة عما كان يقول في ذلك. قلت لعبد الملك: أقالتا: في رمضان؟ قال: كذلك، كان يُصبح جنبًا من غير حُلُم ثم يصوم"[1].

إن أبا هريرة عندما بلغه قول عائشة وأم سلمة، تأكد منهم قائلًا: "أهما قالتاه لك"؟ وعندما قالوا له: "نعم"، لم يتأخر عن أن يقول: "هما أعلم"، وبيَّن لهم ممن سمع ذلك، فلو كان أبو هريرة ـ كما يدَّعي المفترون ـ يخرج عن اللياقة مع مَنْ يناقشه في الحديث ـ لما سمع لهما، وخاصة من السيدة عائشة التي أُفترِيَ عليه بأنه لم يلتزم الأدب معها، وفي هذا دليل على أن أبا هريرة ﷺ صحابي جليل تربى في مدرسة النبوة المحمدية، وأنه ذو أدب عالٍ وخلق رفيع ليس مع السيدة عائشة فحسب، بل مع كل أمهات المؤمنين، وجميع الصحابة غير مبال إلا بالحق والتثبت من النصِّ موطن الدليل.

"كما أن رجوع أبي هريرة عن فتواه يُحمد له، ولا يُعاب عليه، وهو دليل على ورعه وتقواه وقوة فقهه؛ حيث أدرك أن أزواج النبي ﷺ وأمهات المؤمنين يمكن لهن معرفة ما استقر عليه الأمر آخرًا من أمره ﷺ، فيكون قول الفضل ﷺ أول الأمر، ثم لحقه النسخ"[2].

هذا ولم تكن كل مرويات أبي هريرة لم تسمعها السيدة عائشة، وهذا سبب يفسر لنا موقف أبي هريرة حين سوغ فوات هذا الجانب اليسير منها حال انشغالها بشأنها، ولو كان هذا الجانب الذي رواه أبو هريرة ولم تسمع به السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ كثيرًا؛ لكان السياق مظنة التقليل من شأنها، وأنها أنفقت وقتًا طويلًا في شئونها مهملة الحديث وسماعه، ولكن هذا لم يكن، بل إنها كانت تعلم ما لا يعلمه أكابر الصحابة، كأبي بكر وعمر وعثمان وعليّ وأبي هريرة الذي كان يعلم ذلك جيدًا، وإلا فلماذا رجع عن فتواه فيمن أصبح جنبًا وهو صائم إلى حديثها كما ذكرنا؟!

فإذا كانت السيدة عائشة رضي الله عنها استدركت على أبي هريرة بعض ما فاته كغيره من الصحابة، وخاصة في الأمور التي يكون العلم فيها بأحوال النبي ﷺ هي أولى به من غيرها، كالأمور التي كانت تراها من النبي ﷺ في بيته ولا يراها غيرها؛ لذلك رجع عن فتواه "فيمن أصبح جنبًا وهو صائم" إلى ما ذكرت من الحديث؛ لأنها في ذلك أعلم وأدرى كيف كان يصبح رسول الله ﷺ في صيامه؟ وماذا كان يفعل؟ ولم

١. صحيح مسلم (بشرح النووي)، كتاب: الصيام، باب: صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب، (٤/ ١٧٥٤)، رقم (٢٥٤٨).

٢. الرد على القرآنيين دفاعًا عن سنة الحبيب محمد ﷺ، شافع توفيق محمود، الصفا والمروة للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص٨٢ بتصرف.

يكن عنده أي غضاضة في أن يرجع إلى الحق إذا تبين له.

فإذا كان ذلك كذلك فإن أبا هريرة ﷺ ذكر بعض الأحاديث التي لم تسمع بها عائشة فاستكثرتها عليه؛ فأخبرها أنها كانت مشغولة بأمور بيتها عنها؛ فوافقته واقتنعت بتبريره، خاصة وأنها لم تشهد كل مواطن ورود الأحاديث وأسبابها؛ لأنها لم تكن تلازم النبي ﷺ في كل أموره لا سيما خارج المنزل.

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه الاستدركات من الصحابة بعضهم على بعض ـ سواء كانت من عائشة أو أبي هريرة أو غيرهما من الصحابة ـ كانت قليلة ومحدودة إذا ما قورنت بالكم الهائل لمرويات كل واحد منهم والمتفق عليه من الجميع.

ومن هذا المنطلق نذكر مثالًا واحدًا مما صرَّحت فيه عائشة رضي الله عنها بصدق أبي هريرة فيما يروي ـ مع العلم أنها لم تكذِّبه في رواية واحدة، وإن ناقشته مرة فلا يدل ذلك على تكذيبه ـ والأمثلة على ذلك يستحيل حصرها؛ إذ إن كل مرويات أبي هريرة كانت على أعين الجميع ومسامعهم، ولم يُكذِّبه أحد من الصحابة وإن استكثر عليه بعضهم إلا أنهم كانوا يدركون أسباب كثرة مروياته كما ذكرنا في أماكن متفرقة.

فثمة أحاديث رواها أبو هريرة، وحدَّث بها الناس، ثم عُرضت على السيدة عائشة فوافقته فيها، ومنها ما روي عن داود بن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه: "أنه كان قاعدًا عند عبد الله بن عمر، إذ طلع خَبَّاب صاحب المقصورة، فقال: يا عبد الله بن عمر، ألا تسمع ما يقول أبو هريرة؟ إنه سمع رسول الله ﷺ يقول: من خرج مع جنازة من بيتها وصلى عليها، ثم تَبِعها حتى تُدفن كان له قيراطان من أجر، كل قيراط مثل أُحد، ومن صلى عليها، ثم رجع كان له من الأجر مثل أحد؛ فأرسل ابن عمر خبابًا إلى عائشة يسألها عن قول أبي هريرة، ثم يرجع إليه فيخبره ما قالت، وأخذ ابن عمر قبضة من حَصْبَاء المسجد يُقلِّبها في يده، حتى رجع إليه الرسول، فقال: قالت عائشة: صدق أبو هريرة، فضرب ابن عمر بالحصى الذي كان في يده الأرض، ثم قال: لقد فرطنا في قراريط كثيرة"[1][2].

ومن جملة ما سلف يتبين لنا أن المغرضين الذين ناصبوا أبا هريرة العداء، يلتمسون في افتراءاتهم عليه أوجهًا لاحظَّ لها من السياق ولا شاهد يسندها من الواقع، بل هي محاسن حوَّلوها إلى معايب، وفي سبيل ذلك لا يتعرضون للروايات التي تُبيِّن صدقه وأمانته وثناء الصحابة عليه، وما أكثرها من روايات®.

---

١. صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، كتاب: الجنائز، باب: فضل اتباع الجنائز، (٣/ ٢٢٩)، رقم (١٣٢٣، ١٣٢٤). صحيح مسلم (بشرح النووي)، كتاب: الجنائز، باب: فضل الصلاة على الجنازة واتباعها، (٤/ ١٥٤٧، ١٥٤٨)، رقم (٢١٦٠).

٢. انظر: الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة، ص١١٧، نقلا عن: أبو هريرة راوية الإسلام، د. محمد عجاج الخطيب، مرجع سابق، ص٢٢٨.

® في **"تثبت الصحابة في نقل الأحاديث والأخبار، وهذا لا يعني تكذيب بعضهم بعضًا"** طالع: الوجه الثاني، من الشبهة الثانية عشرة، من الجزء الأول (مصدر السنة وحجيتها)، والوجهين الأول والثاني، من الشبهة الرابعة، من الجزء الثاني (تدوين السنة والوضع فيها)، والوجه الثاني، من الشبهة الخامسة، من الجزء الرابع (عدالة الصحابة). وفي **"عدم علم أبي هريرة بنسخ حديث: من أصبح جنبًا فلا صوم له"** طالع: الوجه الثالث، من الشبهة الثامنة، من هذا الجزء. وفي **"رجوع أبي هريرة عن فتواه بفطر من أصبح جنبًا"** طالع: الوجه الرابع، من الشبهة الرابعة عشرة، من هذا الجزء. وفي **"الإجماع على نسخ حديث أبي هريرة في فطر من أصبح جنبًا"** طالع: الوجه الثاني، من الشبهة الثانية والثلاثين، من الجزء الحادي عشر (العبادات).

الخلاصة:

- لقد كان أبو هريرة متحليًا بأروع الأخلاق وأشرف السمات؛ فقد كان زاهدًا وَرعًا مجتهدًا في العبادة والفقه مع الخُلق الرفيع والأدب الجمّ.
- إن أبا هريرة كان يُقدِّر جميع الصحابة، وكان يُقدِّر آل بيت النبي ﷺ تقديرًا يليق بمقامهم؛ لعلمه بفضلهم ومناقبهم، وما كان يسع أبا هريرة أو غيره من الصحابة إلا توقيرهم إيمانًا بمكانتهم ومنزلتهم وحاشا أصحاب محمد ﷺ أن يفعلوا غير ذلك.
- لقد كان أبو هريرة يُوقِّر أم المؤمنين ـ السيدة عائشة ـ ويبرُّها، إيمانًا بحقِّها في ذلك، ويكفي في الدلالة على ذلك أنه رجع عن فتواه إلى حديثها في مسألة "الصوم لمن أصبح جنبًا"، ويكفي أيضًا أنه هو الذي صلَّى عليها بعدما توفيت رضي الله عنها، فكيف يُفترى عليه بأنه لم يلتزم الأدب معها؟! وكيف لا يقدرها قدرها وهو القائل عنها: "عائشة أعلم".
- إن المقصود من مقولة أبي هريرة التسويغ لا الانتقاص؛ فقد تبين للسيدة عائشة أن أبا هريرة كان يطلب الحديث، وأنها شُغلت عما استكثرته منه بحياتها المنزلية، ولم تعارضه في ذلك، بل وافقته ولم تنكر عليه.
- لقد استغل أهل الأهواء ما دار بين الصحابة من نقاش علمي، وجعلوه مادة ينفذون من خلالها لمآربهم، ولكن أنَّى لهم هذا وما من حادثة وقعت لأبي هريرة مع أُمِّنا عائشة أو غيرها إلا بيَّن العلماء وجه الحق فيها.
- لقد التقى الصحابة على هدف واحد يتمثل في رغبتهم في الحفاظ على السنة والتثبت من نصوصها، وقد استدركت السيدة عائشة على كثير منهم، فلم يشعروا بأدنى غضاضة من ذلك، كما لم تشعر هي بأدنى انتقاص أو تحرُّج من كلام أبي هريرة ﷺ لها.
- لقد كانت السيدة عائشة رضي الله عنها حين لا تجد من نفسها العلم الكافي بالنص موطن السؤال تُحيل السائل على مَنْ هو أعلم منها بسؤاله، كما فعلت مع شريح بن هانئ حين سألها عن المسح على الخفين فأحالته إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنهما.
- لقد وافقت السيدة عائشة أبا هريرة في كثير من الأحاديث وصدقته فيما ينقل عن النبي ﷺ كما فعلت عندما بعث عبد الله بن عمر مَن يسألها عن حديث أبي هريرة في اتِّباع الجنازة.

الشبهة السابعة

دعوى رد كبار الصحابة أحاديث أبي هريرة (*)

مضمون الشبهة:

يطعن بعض المغرضين في صحة ما رواه أبو

(*) حجية السنة ورد الشبهات التي أُثيرت حولها، الجامعة الدولية بأمريكا اللاتينية، برنامج البكالوريوس. السنة المطهرة بين أصول الأئمة وشبهات صاحب فجر الإسلام وضحاه، د. سيد أحمد رمضان المسيَّر، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ط١، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م. ضحى الإسلام، أحمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢م. دفاع عن سنة الرسول ﷺ، علاء الدين رجب، دار الصابوني، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م. قصة الهجوم على السنة، د. علي أحمد السالوس، دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م. السنة قبل التدوين، د. محمد عجاج الخطيب، مكتبة وهبة، مصر، ط٤، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤. رياض الجنة في الرد على المدرسة العقلية ومنكري السنة، د. سيد حسين العفاني، مرجع سابق. الحديث النبوي ومكانته في الفكر الإسلامي الحديث، محمد حمزة، مرجع سابق.